حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

تفردات المؤرخ العيني في كتابه "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" معركة البليخ ٧٠٨هـ/١٣٠٨م أنموذجا

سند أحمد عبد الفتاح*

*أستاذ التاريخ الإسلامي – قسم التاريخ- جامعة الكويت

المستخلص

إن دراسة المصادر التاريخية تنال قسطا كبيرا من اهتمامات الباحثين، ومنها على سبيل المثال المصادر المملوكية التي تحتاج إلى الكثير من الدراسات كي تسلط الضوء عليها.

تتناول هذه الورقة البحثية معركة حربية وقعت بين المماليك والمغول في القرن الثامن الهجري، وهي معركة البليخ ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، والسبب الرئيسي لأهمية هذه المعركة هو أن المصادر المملوكية لم تتحدث عنها باستثناء المؤرخ العيني الذي ذكر أسباب هذه المعركة وأحداثها ونتائجها، وهو ما يجعلنا نتساءل عن المصادر التي نقل منها هذا المؤرخ

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

تدور إشكالية هذا البحث حول فرضية ثبوت عادات وتقاليد البدو وكسرها في حالة حدوث مصالح شخصية مادية كانت أم سياسية؛ والتي أدى كسرها -في حالتنا هذه- إلى حدوث معركة حربية كبيرة بين الدولة المملوكية والدولة المغولية ونعني بها معركة البليخ[١] عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م.

اللافت للنظر أن الكتابة التاريخية في عصر دولة المماليك البحرية كانت من الثراء بمكان بما يجعلنا نجد تفاصيل تلك المعركة من حيث أسبابها وأحداثها ونتائجها داخل ثنايا المصادر التاريخية المتنوعة لذلك العصر، أو مجرد الإشارة إليها، إلا أن المفاجأة تمثلت في عدم إشارة أي من مصادر العصر المملوكي البحري -التي وصلت إلينا- لهذه الوقعة على تنوعها ما بين مصادر تاريخية وكتب تتعلق بالسير والتراجم وغيرها من أشكال الكتابة التاريخية التي تميز بها العصر المملوكي البحري.

وزاد الأمر غرابة أن الذي تعرض لتلك المعركة هو مصدر وحيد فقط من مصادر الكتابة التاريخية في عصر دولة المماليك الجراكسة ونعني به العيني[٢] في موسوعته" عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"؛ فبالرغم من بُعد هذا المؤرخ زمنياً عن مسرح أحداث هذه المعركة إلا أنه تعرض لها تفصيلاً متفرداً بها عن مصادر العصرين البحري والجركسي جملة وتفصيلا؛ والجدير بالذكر أن الباحث حاول جاهداً البحث بين ثنايا تلك المصادر لمقارنتها بكتاب العيني، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل لخلو تلك المصادر من هذه الوقعة الحربية المهمة التي حدثت على أطراف الدولة المملوكية مع عدو هو الأشد والأنكى في تلك الفترة وهو المغول.

زد على ذلك أن الباحث حاول من خلال دراسة تلك المعركة -التي انفرد بها العيني- أن يعثر على المرجعية التاريخية التي رجع إليها العيني في سرده لأحداث تلك المعركة؛ إلا أن معلوماته عن هذه المعركة خلت من الإشارة إلى مصادره التي نقل عنها، مما يرجح لدينا أن هناك مصادر تاريخية تتعلق بالعصر المملوكي البحري وتناولته بالتفصيل إلا أن تلك المصادر آل مصيرها إلى الضياع والفقدان، وبقي منها ما نقله عنها المؤرخون اللاحقون مثل العيني قبل أن تندثر وتصبح في طي النسيان؛ وزاد الطين بلة أن عدم ذكر العيني لتلك المصادر التي نقل منها فتح الباب أمام موضوعيته وأمانته العلمية في النقل والاقتباس لفترة تاريخية سابقة لعصره بما يزيد على قرن من الزمان، وجعلنا نتساءل لماذا لم يذكر العيني المصادر التي نقل عنها في مؤلفه أسوة بمعاصريه من المؤرخين؟ ويبدو أن الإجابة على هذا التساؤل تعطى لنا تصوراً أن العيني ربما أشار إلى مصادره في النقل في أجزاء سابقه ولم يرد أن يكرر أسماء تلك المصادر حال اقتباسه في كل مرة، وإن كان المرجح لدينا حول تلك الوقعة الحربية أنها نُقلت من مصدر يخص سيرة الناصر محمد بن قلاوون كاليوسفي مثلاً في كتابه " نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر"، والتي لم تصل إلى أيدينا منها سوى سنوات محدودة في أواخر حياة هذا السلطان، قام بتحقيقها الأستاذ الدكتور/ أحمد حطيط؛ والتي من خلال هذه السيرة نلاحظ كم التفصيلات التي أوردها اليوسفي في سيرته عن وقائع وأحداث أواخر عهد هذا السلطان المملوكي، أما بواكير فترة حكمه فقد وقعت تحت طائلة الفقدان، بمعنى أن المؤرخ العيني -بطريقة غير مباشرة- حفظ لنا معلومات فريدة نقلها من أحد المصادر التي لم تصل إلينا .

وعليه سيحاول الباحث في هذا البحث أن يتعرض لمعركة البليخ ٧٠٨هـ/١٣٠٨م بين المماليك والمغول؛ من حيث ذكر أهم أسبابها التي أدت إلى اندلاعها وسير أحداثها ووقائعها ونتائجها من خلال عدة محاور:-

المحور الأول : أسباب المعركة والتي تمثلت في العلاقات الاجتماعية بين العرب البدو المتاخمين على حدود الدولة المملوكية؛ ونعني به هنا قصة زواج احدى بنات العرب

وصراع اثنين من أمراء البدو على الظفر بها؛ وهو ما أدى إلى نشوب الحرب بين الأميرين، وانضمام أحدهما بعد هزيمته إلى خان المغول خدبنداه[٣]؛ الذي استغل هذا الخلاف والنزاع لتحقيق هدف أكبر وهو محاولة غزو الدولة المملوكية.

المحور الثاني:- موقف الدولة المملوكية من هذا النزاع بين الأميرين، واستعداداتها للحفاظ على هيبتها والدفاع عن حدودها، وتجهيز الجيش المملوكي بما يليق وإسناد قيادته إلى أمراء من ذوي الخبرة والثقل العسكري في الدولة المملوكية لتحقيق هذا الهدف المنشود.

المحور الثالث:- خط سير وأحداث معركة البليخ وكيف انتهى الصراع في تلك المعركة الكبرى، وأهم نتائجها على الصعيدين المملوكي والمغولي.

بدأت شرارة هذه المعركة في ديار عرب آل مهنا بن عيسى ملك العربان في بلاد الشام بين طرفين من أفراد تلك القبيلة وهما أحمد بن عميرة ومهنا بن عيسى[٤]، والاثنان تمتعا بمقومات النفوذ والسلطان لدى السلطة المملوكية ممثلة في السلطان الناصر محمد بن قلاوون؛ فعميرة الأب تمتع بمكانة مرموقة لدى سلطان مصر فكان " **يعظمه لأجل شجاعته وشهامته وكل وقت يُنعم عليه ويُحسن إليه**"[٥]، وكانت له أماكن نفوذ معلومة بسط سلطانه عليها إلا أن النفوذ الحقيقي والسلطة كانت في يد مهنا بن عيسى الذي يُعد الحاكم الفعلي لمملكة العرب على تخوم الدولة المملوكية.

بدافع صلة القربى بين الطرفين تقدم عميرة لطلب خطبة أخت مهنا فوافق مهنا على الخطبة مقابل مهر محدد مقداره خمسمائة جمل، وعشرين رأساً من الخيل، وعشرين عبداً، وعشرين أمَة، ومائة ثوب، وخمسمائة ألف دينار من الذهب [٦].

دخل في صراع الخطبة أحد أعيان البدو وهو ثابت بن يزيد الذي عاتب عميرة على هذه الخطبة، وأرسل إلى مهنا يطلب خطبة أخته هو الآخر، وأخذ في بذل المال على أخوة مهنا وأولاده وكل من له كلمة مسموعة عند كبير أعيان العرب بغية التأثير على قراره والموافقة على خطبته دون عميرة حتى مالت الكفة لصالحه وأصبح معظم القبيلة في صفه ضد عميرة، وأعلن ثابت أنه قبل مهر الفتاة، بل صرح قائلاً: " **إنما أعطي زيادة على هذا، فمهما طلب مهنا من المهر أنا أقوم به**" [٧].

زينت القبيلة لمهنا ضرورة موافقته على الأمير ثابت لأنه في حال تمام تلك الزيجة فسوف تصبح الأخت هي المتحكمة في أمواله وسلطانه ومتى ما احتاج إلى الدعم فسوف يكون تأثير الأخت حاضراً ومدعماً لنفوذ مهنا؛ على العكس من عميرة الذين أخذوا يزينون له سوء عاقبة زواج أخته منه لأنه على حد قولهم : " **لا يراعي حرمتك ولا يعرف مقدارك**"، وأن العروس سوف تكون بمثابة الأسيرة في دياره، وحينها سوف تندم على فعلتك، ولن يجدي الندم نفعاً آنذاك[٨].

ما زال هذا الحزب يضغط بقوة على مهنا الذي تردد في أول الأمر لأنه أعطى موافقته أولاً لعميرة؛ إلا أن لغة المصالح ربحت في النهاية ووافق على تغيير مسار الخطوبة من عميرة إلي ثابت ؛ ضارباً بعادات وتقاليد المجتمع البدوى عرض الحائط، وفي محاولة للنجاة من كلمته التي تنصل منها لعميرة، استدعى أخته ليستشيرها علها تعلن موافقتها على ثابت وتتنصل هي الأخرى من عميرة وتخرجه من هذا المأذق الذي وقع فيه؛ إلا أن موقف الأخت جاء صادماً لأخيها مهنا، حيث رفضت ثابت بماله ونفوذه وسلطانه وأعلنت تمسكها بعميرة، مما جعل أخيها يستشيط غضباً قائلاً: " **أذل الله من يشاور النساء**"[٩].

ضرب مهنا بموافقة أخته عرض الحائط ووضع يده في يد ثابت وطلب منه تجهيز مراسم العرس في أسرع وقت، وشرع ثابت في تجهيز نفسه وإعداد الولائم العظيمة التي نُحرت فيها الجمال والنوق وسار برفقة أهله لإتمام مراسم زواجه [١٠].

بلغت مستجدات الأخبار إلى عميرة فقامت قيامته، وأرسل إلى مهنا قائلاً: **" غدرت بي وزوجت امرأتي لغيري"**، إلا أن مهنا أخبره أنه ما اختار غيره إلا أنه ما لبى مهرها، وأنه بمجرد ظهور من وفى مهرها زوجوها إليه، فأسرها عميرة في نفسه وأضمر السوء لقبيلة مهنا بن عيسى [١١].

بث عميرة عيونه ليأتوه بأخبار ثابت أو مهنا بغية الانتقام، فجاءته الأخبار بأن ثابتاً نزل بغوطة جنيجل، فركب في حوالي أربعمائة فارس واشتبك مع ثابت وقواته التي بلغت حوالي أربعة آلاف من البدو، ولعبت طبقة الفرسان دورها في تشتيت جيش ثابت الذي ولى مدبراً يتبعهم قائدهم ثابت، ومالبث ثابت في لحظة اليأس أن طلب الإجارة[١٢](الحماية) من هلال بن عثمان قائلاً له: **" يا هلال أنا في جيرتك"**، وسرعان ما أجاره بالفعل، ورغم وصول عميرة إلى هلال إلا أنه رفض تسليم ثابت لأنه بات في حمايته، وسرعان ما تركه عميرة بعد أن استولى منه على عشرة آلاف جمل، ولحسن حظه كانت زوجته عند أخيها في ديار مهنا وإلا لكان اصطحبها معه [١٣].

وصلت أخبار هذه القضية إلي نائب دمشق وكافل الممالك الشامية الأمير جمال الدين آقوش الأفرم[١٤] فأرسل إلى عميرة يستدعيه ليعرف حقيقة هذا النزاع الذي يهدد تخوم الدولة المملوكية المغولية، فأرسل عميرة ابنه أحمد، وحالما دخل مدينة دمشق قُبض عليه ووضع في الزردخاناة[١٥]، إلا أنه ما لبث أن أطلق سراحه، وبدأ عميرة يتوجس خيفة من نائب دمشق وأصبح لا يستقر في مكان واحد مدة طويلة خوفاً من القبض عليه[١٦] .

ذهب ثابت إلى نائب الشام واشتكى من سرقة عميرة لجماله وهو تحت حمايته باعتباره كافل الممالك الشامية، فما كان من الأفرم نائب السلطنة إلا أن خلع على أحمد بن عميرة وأكرمه وحمّله برسالة شفاعة إلى أبيه عميرة يطلب منه رد الجمال التي استولى عليها من ثابت، وبالفعل قبل شفاعته في رد بضاعته على ألا يطأ أي أرض يكون فيها عميرة، واكتفى عميرة برد خمسة آلاف بعير فقط، وتعلل أن بقيتها نهبتها العربان وبعضها مات، كل ذلك وما زال **" في قلب عميرة من مهنا نار"** على حد تعبير العيني [١٧].

تم تصعيد القضية إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولعب البذل والبرطلة[١٨] دور كبير في استمالة الناصر محمد، حيث استبق مهنا وأرسل ابنه موسى إلى سلطان مصر محملاً بالهدايا والتقادم من خيل وإبل وثياب وغيرها كثير مما يسلب العقول، وقص موسى القصص على الناصر مما جعله يستشيط غضباً على عميرة، بل زاد الدين بلة أن موسى أخبره أن **" قصاد[١٩] عميرة لا ينقطعون عن التتار وأنه مائل إليهم"**[٢٠].

مع اتهام عميرة بالجاسوسية لصالح خان التتار خدبنداه أرسل الناصر إلى نائبه على دمشق مرسوماً بالقبض على عميرة، واحتالوا عليه حينما أتى بهداياه إلى نائب دمشق، وتم القبض عليه وأودع في سجن دمشق وهرب من كان معه من العرب والعبيد وأخبروا ابنه أحمد بما حدث لأبيه فهرب من غوطة دمشق إلى حلب، ثم وصلته الأخبار تباعاً بوفاة أبيه عميرة في محبسه، فاتخذ قراره بالدخول في طاعة خان المغول، وبالفعل عبر حدود الدولة المملوكية واتصل بنائب المغول في الموصل إيليا حميش الذي سُر بقراره ووعده بكل جميل، وبدأ أحمد بن عميرة بشن الغارات على البلدان الشامية وسلب منها أغناماً كثيرة وجمالاً، وعبر حدود الدولة المغولية قائلاً: **" خرجنا من بلاد الإسلام وكذلك من الدين، سوف يعلم مهنا من هو غريمه"** [٢١].

أرسل أحمد إلى مهنا مهدداً متوعداً إياه بغزو أراضيه ونيل زعامة العرب منه، وبدأ بالفعل في شن سلسلة من الغارات على بلدان عانة[٢٢] والحديثة[٢٣]، ثم بدأ يستعد للغزوة الكبرى بالهجوم على أراضي مهنا بن عيسى [٢٤]، وكان عيون مهنا لا تنقطع عنه بالأخبار حول تحركات أحمد بن عميرة الذي زحف بقرابة ألف فارس واستولى من العرب التابعين لمهنا على ألف جمل، وخمسين جارية، وعدد من العبيد التابعين له، ثم عاد إلى دياره فرحاً مسروراً بغنائمه من ملك العرب [٢٥].

كتب أحمد بن عميرة كتاباً فيه من التشفي والإذلال بحق مهنا وأرسله صحبة أحد العبيد التابعين له، وما أن وصل الكتاب إلى مهنا حتى قرأه على عشيرته طلباً للنصح، فأشاروا عليه بتجهيز الجيش والخروج له قائلين له: **" اطلبه حيثما كان، ولا تبقى تحت الذل والهوان"**[٢٦].

تفاقمت الأحداث من مجرد نزاع حول خطبة أميرة من البدو إلى مشاحنة بين أميرين إلى عصيان وتمرد ضد سلطان الدولة المملوكية، ثم وصل أوج العداء حينما التقى أحمد بن عميرة بخان المغول خدبنداه محملاً بالهدايا الثمينة من الجمال والخيول وغيرها، وقص عليه قصته مع أمير عرب بني عيسى، فما كان من خان المغول إلا أن وعده بكل جميل قائلاً: **" طيب خاطرك فلك كل ما تريد"**[٢٧].

أخذت الخصومة بين آل عميرة وآل مهنا منحنى خطير جداً بعد أن طلب ابن عميرة من خدبنداه جيشاً للزحف نحو بلاد الشام قائلاً: **" يا مولاي، مكني من عشرة آلاف فارس حتى أخرب لك الشام"**[٢٨]، فتعجب خدبنداه من طلبه متسائلاً حول كيفية حدوث ذلك، فبدأ ابن عميرة يطلع خان المغول على عورات الدولة المملوكية ويزين له غزوها مخبراً إياه بأن **" البلاد سائبة وحال الأجناد ضعيف، ولو أنك توجهت إليها لأخذتها من غير حرب"**[٢٩].

اهتبل خان المغول خدبنداه الفرصة وخلع على بن عميرة وجعله قائداً عاماً على عشرة آلاف فارس مغولي، ثم أصدر مرسوماً بتوليته حاكماً على جيش العراق وديار بكر، وخطب في جنوده قائلاً:**" لا تخالفوه إن طلبكم ليلاً أو نهاراً"** [٣٠]، فأصبح الجميع تحت أمرة ورهن إشارة ابن عميرة .

استأذن ابن عميرة خدبنداه في حشد قواته من عشيرته من العربان ليزداد قوة إلى قوته، وبالفعل توجه إلى دياره وقص عليهم ما كان من أمر خدبنداه معه، والتفت عشيرته حوله وتأهبت قواته مجتمعة للزحف نحو مدينة الرحبة [٣١].

يبدو أن الدولة المملوكية لم تكن بمعزل عما يجري من ابن عميرة، فكانت العيون تأتي بالأخبار إلى نواب السلطنة بالشام عما حدث بين خدبنداه وابن عميرة؛ فبمجرد أن نزلت جيوش ابن عميرة في بلدة المقرون إذ بقوات الدولة المملوكية وعددها حوالي ألف وخمسمائة فارس بقيادة أحد القادة البارزين ويدعى عبد الرحمن الذي ألهب حماس قواته ضد التحالف (المغولي- العرباني) بقيادة ابن عميرة، وقام عبد الرحمن بتقسيم قواته فأرسل خمسمائة من قواته صوب قلعة البيرة للزود عنها، ثم أخذ خمسمائة من قواته وزحف لمواجهة ابن عميرة بنفسه على الرحبة، وتقابل الطرفان وتجرع ابن عميرة مرارة الهزيمة وأصيب بسهم في فخذه فولى هارباً، وقام عربان ابن عميرة بتشتيت انتباه القائد عبد الرحمن حتى لا يتتبع قائدهم، فما كان من عبد الرحمن إلا أن هزمهم شر هزيمة وأسر منهم أعداداً غفيرة وغنم من خيولهم ما لا يُحصى ولا يعد [٣٢].

توجه القائد عبد الرحمن إلى قلعة البيرة[٣٣] لتأمين دفاعاتها ضد أي غزو مغولي متوقع، فتلقاه نائبها الأمير طوغان المنصوري، وأنعم عليه من الغنائم التي أخذها من ابن عميرة، ثم توجه إلى حلب وكان الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري[٣٤] الجوكندار [٣٥]نائباً للسلطنة بها فأثنى على جهوده في محاربة ابن عميرة وتأسف على فراره من ميدان المعركة وعدم الإجهاز عليه حتى تأمن الدولة المملوكية من شروره[٣٦] .

أحدث خدبنداه تغييرات إدارية في دولته فقام بعزل قائده إيليا حميش من بلدة الموصل وولى مكانه أحد أمراء المغول الدهاة وأشجعهم وهو سوتاي، الذي بدأ عهده بأن طلب من خان المغول إذناً عاماً بالإغارة على أطراف الدولة المملوكية لبث الرعب في نفوس الأهالي، فتحمس خان المغول لطلبه وجعله قائداً على عشرين ألف من المغول، ثم زوده بعشرين ألف آخرين تحت قيادة قائد آخر يدعي ثوكال بغا، واتجه هذه الحشود إلى بلدة خلاط[٣٧]، وهي البلدة التي هرب إليها ابن عميرة حين أُصيب بسهم في فخذه في حربه مع عبد الرحمن، وحالما اجتمع سوتاي بابن عميرة أخبره بما جرى بينه وبين قوات الدولة المملوكية بقيادة عبد الرحمن، فاصطحب سوتاي ابن عميرة في طريقه للإغارة على حدود الدولة المملوكية، فوصلوا بلدة البشيرية، ومنها توجهوا صوب سنجار[٣٨] .

وصلت الأخبار من القصاد في سنجار إلى الأمير قراسنقر بحلب تخبرهم بتحركات المغول الحاشدة، فتم إعلان حالة التأهب القصوي في جميع قلاع الدولة المملوكية وخاصة قلعة الروم[٣٩]، وبدأ زحف المغول إلى بلدة نصيبين[٤٠]، ومنها توجه إلى قلعة الروم، فأغار في طريقه على بلدة سميساط[٤١]، ثم بلدة بهسنا[٤٢]، وكان جلّ سكان هذه المناطق من التركمان، فاستولى سوتاي على الكثير من الأغنام والإبل، ثم سبى حريم التركمان وأولادهم، وحينما وصلت تلك الأخبار إلى نائب قلعة الروم استنجد بالأمير قراسنقر نائب السلطنة بحلب؛ الذي أعلن في الحال حالة النفير العام، وأرسل بمستجدات الأخبار إلى نواب السلطنة المملوكية في كل من نائب الشام وحماة وطرابلس، وطلب من هؤلاء النواب جميعهم التوجه بجيوشهم صوب حلب للاجتماع على حرب سوتاي الذي وُصف بأنه " **ملعون وله شوكة لا ترد من هذه البلاد**" [٤٣].

طرح الأمر للشورى حول كيفية مواجهة المغول؛ فأشار القائد عبد الرحمن بأن تتوجه القوات المملوكية إلى نهر الساجور[٤٤]، ثم يقوموا باستطلاع الأخبار حول وجهة سوتاي؛ فإن عزم على الزحف نحو ديار بكر سارت القوات المملوكية في أثره، وإن كان قاصداً سنجار قطعوا عليه الطريق وقاموا بالقبض عليه، فاستحسنوا هذا الأمر وبالفعل زحفت القوات المملوكية صوب الساجور ونصبوا خيامهم حتى اجتمعت إليهم عساكر القلاع المملوكية من كل صوب [٤٥].

أتت الأخبار من جواسيس المماليك داخل الأراضي المملوكية أن سوتاي بعد أن غنم وسبى عزم على العودة إلي الدولة المغولية بغنائمه، فطرح عليهم عبد الرحمن أن فرصة النيل من سوتاي ما زالت قائمة لأنه في حال عودته لابد له من المرور ببلدة سنجار، والقوات المملوكية أقرب للبلدة منه، لذا كان عليهم وضع كمين محكم لقوات المغول حتى يقوموا بتحرير السبايا والغنائم من قبضة المغول[٤٦].

زحفت القوات المملوكية حتى عبرت نهر الفرات، ونزلت على جب يقال له" أم جرن" فسقوا خيولهم وأراحوها ثم استراحوا من مشقة السير، ثم واصلوا مسيرهم حتى نزلوا على البليخ؛ وفي هذا الموضع أخبر عبد الرحمن الأمير قراسنقر بأنه لا سبيل لعودة سوتاي إلى الدولة المغولية إلا بالمرور من هذا الموضع، فعسكرت القوات المملوكية، ثم خرج عبد الرحمن على رأس مجموعة لكشف أخبار سوتاي وخط سيره، فعلموا أن سوتاي

وقواته نزلت ببلدة حران ثم توجهوا منها صوب المشهد وعين الذهب، وصدقت فراسته بأنهم لابد مجتمعين على البليخ [٤٧].

وبما أن مهمته كانت متمثلة في كشف أخبار المغول ومعرفة خط سيرهم فكان لابد من أسر أحد جنودهم، والتوجه به إلى قراسنقر كي يدلي بكل ما يعرفه من أخبار عن سوتاي وتحركاته، وانتهز عبد الرحمن ورفقته فرصة تخييم سوتاي بقواته بالقرب من أحد عيون المياه للتزود بها، وكانت هذه العين الجارية وسط أشجار كثيفة وأقصاب عالية، وكانت الخطة أن يقوموا بأسر أي شخص يأتي للتزود من عين المياه إلا أن المغول كان على قدر من الحيطة والحذر فكانوا يأتون للتزود من المياه جماعات في صورة عشرة جنود أو عشرين جنداً، وقبل أن يدب اليأس في نفوسهم ويعودوا إلى معسكرهم لمحوا أحد المغول وقد أتى منفرداً للتزود من العين الجارية، فوضع عبد الرحمن خطته لفرقته المصاحبة له بأنه في حال الوثوب على الجندي المغولي يقوم أحد أفراد الفرقة بوضع يده على فمه حتى لا يصيح مستغيثاً برفقته ويحدث ما لا يُحمد عقباه، وبالفعل تم تنفيذ الخطة بإحكام وتم القبض على الجندي، ثم تقييده من يديه ورجليه، وحملوه وعادت فرقة الكشافة بهذا الأسير المغولي إلى قراسنقر لمحاققته حول أمر سوتاي[٤٨].

وصلت فرقة الكشافة إلى معسكر قراسنقر ووضعوا الأسير بين يديه ليسأله عن عدد قوات المغول، وكان ابن الأمير قراسنقر قد هدد الأسير بضرب عنقه إن أجاب عن عدد القوات المغولية بأكثر من ثلاثة آلاف جندي مغولي حتي لا يدب الوهن واليأس في قلوب القوات المملوكية، لذا بمجرد أن سئل عن عدد قوات سوتاي أجاب بأنهم ثلاثة آلاف وأنهم في ضعف بسبب إجهاد خيولهم من كثرة السفر، وأتت تلك الإجابة برداً وسلاماً على قوات قراسنقر فزاد طمعهم واشتد قلبهم لمواجهة سوتاي، واقترح القائد عبد الرحمن أن يأخذ خمسمائة من الفرسان الشجعان ويكمن في أحد الأماكن المحيطة بالبليخ حتى إذا ما اشتد الوطيس تدخل في الوقت الحاسم، ووافق قراسنقر على هذه الخطة[٤٩].

أتت اللحظة الحاسمة والمواجهة بين القوات الحاشدة للدولة المغولية بقيادة سوتاي والقوات المملوكية بقيادة الأمير قراسنقر، وما أن ظهر غبار خيول المغول حتى أصيب قراسنقر والمماليك بالذهول نظراً لهول أعداد تلك القوات والتي من المستحيل أن تكون مجرد ثلاثة آلاف جندي فقط كما ذكر الأسير المغولي، ومع وجود سبايا التركمان ضمن قوات سوتاي والتي كان لابد من تحريرهم ظهر دور الأمير قراسنقر الشجاع في وقت المعارك الحربية فخطب في جنوده قائلاً: **" لم يبق إلا القتال والثبات ونحن في مكان لا ملجأ فيه إلا إلى الله تعالى، فيا معشر المسلمين انظروا إلى نساء إخوانكم المسلمين وأولادهم وكيف يساقون وهم في الذلة، وهذه أبواب السماء قد فتحت فبيعوا أنفسكم لله تعالي"** [٥٠].

حينما رأى سوتاي أعداد المسلمين استخف بها واستحقرها، وشرع في ترتيب جيشه في الميمنة والميسرة والقلب، وبدأت أحداث وقعة البليخ واشتبك الطرفان وحمي الوطيس، وتقهقر المسلمون تكتيكياً كما هو متفق عليه مع الأمير عبد الرحمن وأظهروا الانسحاب، وتتبعهم المغول دون وعي منهم، حتى إذا ما وقعوا بين براثن كمين الجيش المملوكي بقيادة عبد الرحمن إلا وخرج الفرسان عليهم وأثخنوا فيهم السيوف، وتبدل الحال وبدأ المغول في الفرار طلباً للنجاة بأنفسهم، وتتبعهم المماليك وأسروا منهم أعداداً غفيرة، وغنموا من الأسرى ما لا يحصى، ومن الغنائم التي وزعت عليهم ما لا يُعد، ثم قام الأمير قراسنقر بقتل الأسرى وقطع رؤوسهم، وأرسلها إلى نائب دمشق الأمير الأفرم تمهيدا

لإرسالها إلى السلطان الناصر محمد، الذي سُر كثيراً خاصة وأن جيش دمشق كان على أهبة الاستعداد للتحرك صوب الحدود المملوكية المغولية [٥١].

استغل الأمير قراسنقر انتصاره على المغول أحسن استغلال، فأرسل مُسْرِعاً مندوباً من قبله إلى صاحب سيس يطلب منه دفع الجزية المقررة عليه، وإلا سيناله ما نال قائد المغول سوتاى، وبالفعل قام بتجهيز الأموال المقررة عليه وأرسلها إليه بعد أن تناهي إلى علمه الهزيمة التى مُني بها قائد المغول، وبات اسم قراسنقر مثالاً للرعب بين مملكة المغول، فكانوا يحدثوا أنفسهم قائلين:**"لا نأمن أن يجيء إلينا قراسنقر صاحب حلب ويجرى بيننا وبينه أنحس مما جرى على سوتاى"** [٥٢].

هكذا انتهت معركة البليخ عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م بين المماليك والمغول، والتي كانت شرارتها مجرد نزاع بين أميرين من العرب حول الزواج من أميرة عربية من البدو من عرب آل مهنا، ولعبت في هذا الزواج المصالح الشخصية والاستفادة المادية من حيث النفوذ والمال دوراً كبيراً، وضُربت ببعض ثوابت عادات وتقاليد البدو عرض الحائط، من قبيل: ميثاق الكلمة وعدم التراجع عنها، وعدم النزول على موقف المرأة البدوية التي لم يؤخذ بكلمتها؛ وهو ما جر على العرب والدولة الوبال وجرها إلى صراع مغولي مملوكي؛ أظهرت فيه الدولة المملوكية هيبتها بحيث يمكننا القول أن بعد هذه الوقعة لم يشهد الصراع المملوكي المغولي أي تصاعد في وتيرة الأحداث الحربية والعسكرية إلا على عهد تيمورلنك مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

Abstract

The singularities of the historian Al-Aini in his book "The Decade of Joman in the History of the People of Zaman" The Battle of Balikh 708 AH / 1308 CE as a model

By Sanad Ahmed Abdel Fattah

The study of historical sources receives a large part of the interests of researchers, including, for example, Mamluk sources, which need a lot of studies in order to shed light on them.

This research paper explains a war battle that took place between the Mamluks and the Mongols in the eighth century AH, It is a battle of Balikh in 708 A.H./1308 A.D, and the main reason for the importance of this battle is that the Mamluk sources did not talk about it except for the specific historian Al'yni who mentioned the causes of this battle and its events and results, which makes us wonder about the sources from which this historian was transferred

الهوامش

[١] تقع على نهر الرقة وبينها وبين نهر الفرات مسيرة ليلة، وتل بليخ قرْيَة على هذا النهر، يُنْسَبُ إليها أيوب بن سُليمان التلي. انظر للمزيد: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج١، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ، ص٢٧٨؛ الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للنشر، ١٤١٥هـ، ص١٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، دار صادر بيروت ١٩٩٥، ص٤٩٣؛ ج٢، ص٤٠، ٤٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ، ص٢٢١، ٢٧٢.

٢ بدر الدين العيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ / ١٣٦١ – ١٤٥١م (محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي) مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين .أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته)، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة.

[٣] أحد ايلخانات مغول فارس الكبار الذين ناصبوا العداء للدولة المملوكية، وسعى بكل جهده إلى غزو الدولة المملوكية مراراً وتكراراً، لذا قام العامة بتحقيره وإطلاق اسم " خربنداه" عليه تقليلاً من شأنه. انظر: ابن سباط، تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس ١٩٩٣، ص٦١٣؛ ابن دقماق، النفحة المسكية فى الدولة التركية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت١٩٩٩، ص١٢٠.

[٤] من أسرة عرب آل فضل المشهورة، وتمتع مهنا بمكانة كبرى هو وأسرته لدى سلاطين الدولة المملوكية نظراً للأدوار التي لعبوها في حماية حدود الدولة المملوكية من المغول، ولقيامهم بمهام تجسسية على حدود دولة المغول حتى يأمن المماليك شر غاراتهم الدائمة، وتميزت علاقتهم مع السلطنة المملوكية بالتذبذب في الولاء في بعض الأحيان. انظر للمزيد: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وأخرين، ج٥، دار الفكر بيروت ١٩٩٨، ص٤٥٩ وما بعدها.

[٥] العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٥، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب القومية القاهرة ٢٠٠٩، ص١٤.

[٦] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٤.

[٧] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٤.

[٨] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٥.

[٩] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٥.

[١٠] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٥.

[١١] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٥- ١٦.

[١٢] ترجع كلمة الإجارة إلى الفعل أجار، وهي من المنعة وعدم الاعتداء، والجار الذي أجرته من أن يظلم، وأجاره: أغاثه، ومنعه وحماه، وجارك: المستجير بك وأستجارك في الذمة: تجيره وتمنعه، وتعطي الإجارة معنى: الأمانة والأمنة: نقيض الخيانة، لأنه يؤمن من آذاه، وقد آمنه وأمنه، وتعني أيضا الكفالة، ومنها المكافل والكفيل أي المعاقد والمعاهد والمجاور، وهناك معنى أخر للإجارة هو (يتليه) أي يجيره، وأتليتك أجرتك. ومن معانيها الصحبة فإذا قال أحدهم: أصحبت الرجل، أجرته وحفظته ومنعته، من قولهم صحبك الله أي حفظك وكان لك جاراً. انظر للمزيد: ابن منظور، لسان العرب،ج٤، دار صادر بيروت(ب.ت)، ص١٥٤؛ الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، تحقيق: مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨٢، ص١٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣، بيروت (ب.ت)، ص١١١؛ ج٨، ص٩٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، تحقيق:يوسف علي الطويل، دمشق١٩٨٧، ص٤٣٧؛ الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، ج٣، عالم الكتب، بيروت(ب.ت)، ص٤٠٩؛سعد عبود سمار، الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد الأول ٢٠٠٧، ص٨٥.

[١٣] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٦.

١٤ آقوش الأمير جمال الدين الأقرم نَائِب دمشق كَانَ من البرجية تمتع بِدِمَشْق وَسكن القصر الأبلق وَقضى بِهِ الْعَيْش الرغد وَكَانَ خيرا لَا يحب الظُّلم وَلَا يسفك الدَّم وأحبه أهل دمشق وَكَانَ ينادم الشَّيْخ صدر الدّين ابْن الْوَكِيل وَبدر الدّين ابْن الْعَطَّار وَالْملك الْكَامِل وَغَيرهم من المطابيع المحتشمين وَلم يزل فِي أرغد عيش وأهناه إِلَى أَن تحرّك الْملك النَّاصِر فِي الكرك وخامر أُمَرَاء دمشق وراحوا إِلَى الكرك وَاحِدًا بعد وَاحِد وَبَقِي هُوَ وَحده بِدِمَشْق فَلَمَّا قارب السُّلْطَان دمشق هرب هُوَ والأمير عَلَاء الدّين ابْن صبح إِلَى الْجَبَل فَلَمَّا قدم السُّلْطَان إِلَى دمشق بعث لَهُ الْأمان فَحَضَرَ إِلَيْهِ وَتوجه مَعَه إِلَى مصر وَخرج مملكاً بصرخد على عَادَة كتبغا ثمَّ جعل نَائِبا لطرابلس، ثم هرب وَدخل إِلَى بلاد التتار في طاعة خدبنداه، ويقال أنه بكي كثيراً حين دخل حدود الدولة المغولية كونه سيفتقد أهله وولده انظر بالتفصيل: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، تحقيق: أحمد الأرناؤوط،، دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠٠، ص١٩٠ وما بعدها؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٩، المؤسسة المصرية للترجمة، القاهرة١٩٥٠، ص٣٢؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٣، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق ٢٠٠٢، ص١٣.

١٥ معناها بيت الزّرد لما فيها من الدروع الزّرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقسيّ العربية، والنّشّاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد. انظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١١.

١٦ العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٦.

[١٧] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٦- ١٧.

[١٨] هو مصطلح خاص بهذا العصر ويعني الرشوة من بذل للمال والهدايا والخلع في سبيل الحصول على المناصب والوظائف العليا بكافة أنواعها في الدولة. انظر للمزيد: أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن عصر سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٩.

[١٩] كلمة قصاد في هذا العصر تعني العيون والجواسيس الذين كان يبثهم السلطان للتجسس على خانات المغول أو على نواب السلطنة الذين يتوجس منهم السلطان خيفة. للمزيد عن هؤلاء ودورهم في الدولة المملوكية انظر: Amitai, Mamluk Espionage among mongols and franks,AAS,XXII,1988.

[٢٠] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٧.

[٢١] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٧.

[٢٢] يقال لها عانات أيضاً، وهي بلدة تقع بين الرقة وهيت، وهي مدينة زاهرة يمر نهر الفرات من خلالها، لذا كانت كثيرة الأشجار والثمار والكروم، ولها قلعة حصينة، ولكثرة كرومها تنسب العرب إليها الخمر. انظر: مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: السيد يوسف الهادي، القاهرة١٤٢٣هـ، ص١٦٢؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب، القاهرة١٩٩٩، ص٢٤٠؛ الهمداني، الأماكن، ص٦٥٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت (ب.ت)، ص٤١٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٩١٢.

[٢٣] بلدة بينها وبين الموصل أربعة عشر فرسخاً أي ما يزيد على أربعين ميلاً. انظر: المهلبي، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، ص١١٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٣٨٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠، ص١٨٩-١٩٠.

[٢٤] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٨.

[٢٥] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٨.

[٢٦] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩.

[٢٧] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩.

[٢٨] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩.

[٢٩] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩.

[٣٠] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩.

[٣١] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩. والرحبة بلدة عامرة ذات بساتين وبها قلعة حصينة على حدود الدولة المملوكية. انظر: مجهول، حدود العام، ص١٦٢.

[٣٢] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٠.

٣٣ بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرّومية، وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٤٠-٢٤١.

٣٤ أورد ابن كثير وابن تغري بردي والعيني نادراً لقب " سيف الدين " مقترناً بقراسنقر، رغم ذكرهم له كثيراً فى مواضع أخرى لقب" شمس الدين" والصواب ما ورد فى المتن بناءً على ما ثبت فى جلّ المصادر المملوكية حتى هؤلاء المؤرخين أنفسهم فى كتبهم، انظر: البداية والنهاية، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، القاهرة١٩٩٩، ج١٨، ص٩٦؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ،ج٩، ص٤٧ ؛ عقد الجمان، ج٥، ص٩ ، وورد اسمه فى المصادر كلمة واحدة متصلة " قراسنقر" ، وأحياناً كلمتين منفصلتين " قرا سنقر" ، وفي إشارة واحدة فقط أوردها ابن الوردي بأنه " قره سنقر " انظر: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٦، ج٢، ص٢٧٩. ومعني هذا الاسم هو الصقر الأسود، وحالما هرب قراسنقر إلى الدولة المغولية ودخل في طاعة خدبنداه اختار له المغول اسم" آقسنقر" لأنهم لا يحبون

السواد ويتطيرون منه. انظر، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الهند ١٩٧٢، ص٢٨٨.

[٣٥] الجوكندار: وظيفة تتألف من لفظين فارسيين، الأول جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المحجن الذي تضرب به الكرة أو عصى البولو، ويعبر عنه أيضًا بالصولجان، والثاني دار من المصدر داشتن، بمعنى مسك، وبذلك يكون المعنى الكلى ممسك العصا، وكان اسم الجوكندار يطلق على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبته الكرة والصوالجه أو البولو، وقد عرفت هذه الوظيفة قبل عصر المماليك واستمرت فى العصر المملوكي، وتولاها العديد من أمراء المماليك الذين أصبح لهم شأن فى السلطنة المملوكية ، وصارت لهم إنجازات معمارية تدل على عظم مكانتهم مثل قراسنقر وأسرة آل ملك ، للمزيد عن هذه الوظيفة وأبرز من تولاها وأهم أعمالهم المعمارية انظر: القَلْقَشَنْدِي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٨؛ الفاسي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: مصطفي محمد حسن، مكتبة نزار مصطفي، الرياض١٩٩٧، ص١٦٢؛ المقريزي، الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق:جمال الدين الشيال،مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥، ص١٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٢، ٨٣، ٩٦-٩٧؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القري، دار المدني، جدة ١٩٨٢، ج٣، ص١٧٦، ١٧٧، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٣؛ ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبدالحميد العدوي، موسوعة مكة والمدينة (٤)، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٦م، ص٩٧، ١٠٢؛ النعيمي، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة١٩٨٨، ج٢، ص٣٩٢؛ السنجاري، منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت والولاة والحرم، تحقيق:جميل عبد الله المصري، السعودية١٩٩٨، ج٢، ص٣٥١-٣٥٢؛ عارف العارف، تاريخ القدس، دار المعارف القاهرة ١٩٥١، ص٩١؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٦م ،ج١، ص٣٧٤؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطي، القاهرة ١٩٧٥م، ص١٤٣؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١، ١٩٧٤م، ص٦٨، ٧١، ٧٥، ١٠٥ حاشية (٢٤)؛ على بن إبراهيم غبّان، الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه، مجلة العصور، مج٥، ع٢، دار المريخ، لندن، يوليو ١٩٩٠م ، ص٢٦٤؛ ابن جنيد الساعاتي، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، كتاب الرياض، العدد (٣٩)، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ١٩٩٧م، ص٣٣.

Petersen, A. D., *A Gazetteer of Buildings in Muslim Palestine*, Part 1, British Academy Monographs in Archaeology 12, New York, 2001, p. 288-289.

[٣٦] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٠.

٣٧ مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية، ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة، بها المياه الغزيرة والأشجار الكثيرة. وأهلها مسلمون ونصارى. وكلام أهلها العجمية والأرمنية والتركية، ذات سور حصين. انظر: القزويني، آثار البلاد، ص٥٢٤؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٤٧٦.

٣٨ العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢١. وسنجار مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ونصيبين، في لحف جبل عال، وهي طيبة جداً كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة كأنها مختصر دمشق، وما رأيت أحسن من حماماتها. انظر: القزويني، آثار البلاد، ص٣٩٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٢؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ص٨٥؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٤٣.

[٣٩] هي قلعة حصينة فى غربىّ الفرات مقابل البيرة، تقع بينها وبين مدينة سميساط، كان بها مقام بطرك الأرمن، وتسمى بالأرمينية كاغبكوس وتم فتحها على يد الأشرف خليل بن قلاوون، ومذاك هي في حوزة السلطنة المملوكية. انظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١١١٨.

[٤٠] مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب. انظر: اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ، ص٢٠٤؛ الاصطخري، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة (ب.ت)، ص٥٢؛ مجهول، حدود العالم، ص١٦٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩١،

ص١٤٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٦٧؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٧٤.

٤١ تقع على نهر الفرات، وكذلك على جسر منبج، وهي مدينة صغيرة خصبة، لها زروع سقى، وماؤها من نهر الفرات. انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨١؛ مجهول، حدود العالم، ص١٧٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، عالم الكتب بيروت ١٤٠٩هـ، ص٦٥١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٤١.

٤٢ قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط، ورستاقها هو رستاق كيسوم، وهي من عمل حلب. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥١٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٣٤.

٤٣ العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٢.

[٤٤] اسم نهر ببلدة منبج. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٨١.

[٤٥] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٢.

[٤٦] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٢.

[٤٧] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٣.

[٤٨] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٤.

[٤٩] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٤- ٢٥.

[٥٠] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥.

[٥١] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥- ٢٦.

[٥٢] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٧، ٢٨، ٢٩.